



الفقه الإسلامي والصوفية والجندر: صياغة جديدة لجوانب القضية

سعدية شيخ

تقدم سعدية شيخ في هذا الفصل طرحًا صوفيًا يهدف إلى تصحيح مفاهيم العلاقات وبنياتها بين الرجال والنساء في الفقه الإسلامي. ترى الباحثة أنه لم يتم إنماء العلاقة العميقة بين الصوفية والفقه الإسلامي بشكل كاف فيما يتعلق بالإمكانيات التي يمكن أن تقدمها الصوفية في مجال صياغة مبادئ وأخلاقيات جديدة حول الجندر في العصر الحديث. وتشتبك الباحثة اشتباكًا نقديًا مع ما تعده قصورًا في مجال أنثروبولوجيا الدين فيما يتعلق بالجندر، وذلك بإلقاء الضوء على الآراء الفقهية السائدة الخاصة بمفاهيم مثل "القوامة" و"الولاية"، في حين تطرح قراءة نقدية جديدة للمفاهيم المرتبطة بالجندر في الفقه، وذلك في ضوء المبادئ العقائدية الصوفية المتعلقة بماهية الإنسان والتواصل مع الله ومع الآخرين من بني الإنسان.

وتقوم الباحثة بدراسة اثنتين من المفاهيم الصوفية، موضحة كيف أنهما يمكن أن يشكلتا أساسًا لإعادة صياغة التراث الفقهي الإسلامي فيما يتعلق بالجندر. أول هذين المفهومين هو فكرة "إن لدى كل إنسان القدرة والمسؤولية للسعي إلى تحقيق الأهداف نفسها، وأنه ما من تأثير للجندر في عملية تحقيق تلك الأهداف الوجودية." وتشير الباحثة إلى التعاليم الصوفية التي تولي قيمة مركزية لماهية الإنسان الداخلية بوصفها موضعًا مهمًا للقيمة الأخلاقية والروحانية. على العكس من القيمة التراتبية التي تُمنح للجسد الإنساني على أساس الجندر. وترى شيخ أن علاقات السلطة في النظام الأبوي تعكس - على مستوى جمعي - انتصار أهواء الذات السفلى المتسمة بالدنوّ والوضاعة. وهكذا ترى الباحثة أن السلطة الأبوية تمثل من منظور صوفي عقبة روحانية يجب تخطيها. وتعرض شيخ فكرة أنه بمقدور المفهوم الصوفي الرئيسي المتمثل في المساواة الوجودية بين البشر كافة أن يمدنا بأساس فقهي عقائدي أخلاقي يمكننا من مجابهة المفاهيم الأبوية المتسلطة التي تدفع بأن التفوق الوجودي هو حق للجسد الذكوري.

أما المفهوم الصوفي الثاني فيتمثل في العلاقة بين الإنسان والله، وفي سعي الإنسان نحو الوصول إلى الصفات الإلهية السامية، وهي الحالة التي تعرف في الفكر الصوفي بحالة "الإنسان الكامل". وتستعين شيخ في فهم هذه الفكرة بتراث المفكر الصوفي ابن عربي الذي عاش في القرن الثالث عشر، حيث تلقى الضوء على آراء ابن عربي القائلة إن "الإمكانيات الروحانية جميعها متاحة أمام الرجال والنساء على حد سواء"، مشيرة إلى أن لتلك المساواة الروحانية في ذاتها تبعات مباشرة في مجالي الحياة الاجتماعية والقانون. وتؤكد الباحثة أن الالتزام بالتطور الروحاني باعتباره جزءاً من البحث عن الطريق الأقرب في علاقة الإنسان بالله، والذي يتعين على الرجال والنساء على حد سواء اتباعه، يمكن أن يمثل أساساً لعلاقات وأدوار مساواتية بين الرجال والنساء. وتلفت الباحثة الانتباه، من خلال استدعائها للمنظور الصوفي في الجدل القائم حول الجندر والفقه، إلى إمكانية أن تخلق النسويات المسلمات مجالاً يتيح لهن صياغة جديدة لضوابط الفقه في ضوء "أهم وأعمق الأولويات الوجودية والدينية في الإسلام."